ثمنُ السَّلامِ

الأب فيتوريو ياناري(*)

أنا سعيدٌ جدًّا لمشاركتي في هذا المؤتمر الهامِّ برعاية الأزهرِ، والذي يضمُّ مشاركاتٍ لممثِّلين عن الإسلامِ والمسيحيةِ واليهوديةِ، وكُبرىٰ الدياناتِ الآسيويةِ، حول الموضوع الأكبر؛ ألا وهو السَّلامُ، أشكرُ الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر لدعوتِه الكريمةِ.

منذ أيامٍ قليلةٍ احتفل المسيحيون بعيد الفِصحِ، ومن المصادفةِ السعيدةِ في هذا العام أنَّ المسيحيين الكاثوليك والأرثوذوكس قد احتفلوا في نفسِ اليومِ بالسيدِ المسيحِ. أولُ كلمات السيد المسيح في الإنجيلِ هي: «السَّلامُ عليكُم»، وهذا يوضِّح كيف أن السَّلامَ من الأهمية بمكانٍ عند المسيحيين.

السَّلامُ مكلِّفٌ! لأنه حيثما تعملُ من أجل السَّلام علىٰ الفور يندلع الحسدُ الذي يبغي التقسيم والموت، نقرأ في إنجيل يوحنا أن الشيطان: «كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ منذ الْبَدْءِ» (يوحنا ٨/ ٤٨).

هكذا، فإن رجالَ السَّلام ونساءه عليهم أن يَقبَلُوا الدخولَ في هذه المعركة، وعليهم أن يقبلوا بشنِّ الحرب ضدَّ الشرِّ، الذي هو علىٰ العكس لا يريدُ إلا التقسيم والموت.

إن كلَّ هذا مكلِّفٌ، وله ثمنٌ وله عواقبُ ملموسةٌ، وفي واقع الأمر إنها ليست حربًا نظرية أو حربَ مفاهيمَ بعيدةً عن الواقعِ.

هناك شهداءُ عظماءُ للسلامِ من الذين دفعوا حياتهم والتزامهم التام من أجل قضية السَّلامِ، من بين هؤلاء يُمكننا أن نتذكر مهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينج، والأخ روجيه شوتز، إنهم شهداءُ سلامٍ، وأولئك الذين قتلوا من إخواننا المسيحيين الأقباط في طنطا والإسكندرية يوم أحد السعف في الكنائس التي تم الاعتداءُ عليها بسبب الحقدِ.

الرجالُ والنساءُ الذين يعملون من أجلِ السَّلامِ عليهم أن يقبلوا بدفع النفس أوَّلًا، وأن يُكرِّسُوا حياتهم الشخصية والعملية من أجل إرساءِ السَّلامِ.

نرىٰ بعضَ الشخصياتِ الدينيةِ، ومن بين هؤلاء: البابا فرانسيس والإمام الأكبر الطيب والبطريرك برثلماوس، وهم من الأشخاصُ ذوي النفوذ والمصداقية، وهذا لأنهم لا يَخشَون أن يُنفقوا حياتهم، وأن يُقدِّموها هبةً من أجل قَبولِ هذه المعركة ضدَّ مبدأ التقسيم، ومن أجل إرساء السَّلامِ.

السَّلامُ هو هبةٌ من الرب، لكنه هبةٌ ذات ثمنٍ، فالسَّلام يتطلبُ من المرء ألا يبحثَ عن مصلحته الشخصية فحسبُ، بل شخص لا يريد أن يكونَ هو المحق دائمًا بأي ثمن، ولا يريد المحافظة علىٰ امتيازات شخصية، شخص لا يحب اللامبالاة، بل دائمًا ما يشعر بمسئولية تجاه الأقليات والفقراء.

الشخصُ الذي يرفضُ كلَّ هذا، ماذا يفعل؟ إنه لا يبحثُ عن السَّلام، بل راحة البال، لكن راحة باله دائمًا ما تُبنىٰ علىٰ حساب الآخرين، من الفرقاء، والغرباء، والضعفاء.

ونرىٰ ذلك بوضوحٍ في حالةِ أولئك الذين يَطرُقون أبواب أوروبا، من يدفعون ثمنَ راحة بال أشخاص آخرين.

إن الفقراءَ والبسطاءَ من الناسِ يفهمون جيدًا إشارة الرب يسوع الذي يقول: «السَّلام عليكم»، لماذا يفهون ذلك؟ لأنهم هم من يُعانون عندما يغيبُ السَّلام، هم من يموتون في الحربِ، أو عندما يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسِّط.

إن الأديانَ عليها هذا الواجبُ الحتميُّ: أن تكون قريبةً من الضعفاءِ والفقراءِ، وأولئك الذين يكونون الضحايا الأولىٰ للعنفِ.

الأديانُ عليها واجبٌ ومسئوليةُ التنمية للمؤمنين الذين يُريدون إتمامَ مشيئة الرب، ومشيئةُ الرب هي أن يتلقَّىٰ الناسُ سلامه، متقبِّلين أن يتخلَّوا عن راحة بالِهم الشخصية حتىٰ يَبنُوا سويًّا سلام الجميع، السَّلامَ الحقيقيَّ.

***